

تقرير

شوقي عشقوتني
lionbars@hotmail.comأردوغان يقتنص اللحظة الدولية لمنطقة أمنية حدودية
رياح أوكرانيا تلعج سوريا وتعدد أوضاعها

سوريا بعد حرب اوكرانيا ليست سوريا ما قبل الحرب، واوضاعها متحركة ومتبدلة. الستاتيكي الذي ترسخ تحت مظلة تفاهم اميركي - روسي غير معلن بدأ يتصدع وينهار. القبضة الروسية بدأت تتراخي. ايران باشرت استعداداتها لملء اي فراغات روسية امنية واقتصادية. الدعم الدولي المالي لسوريا واللاجئين ينخفض، والاهتمام السياسي بالازمة السورية الى ادنى مستوياته

الازمة الاقتصادية الاجتماعية المعيشية تضيق الخناق على النظام والشعب. تركيا الدولة المتربصة المتحينة للفرص لم تتأخر في اقتناص اللحظة الدولية المؤاتية، وفي نفخ الغبار عن مشروع المنطقة الامنة، وتعد لعملية عسكرية في عمق 30 كيلومترا ستكون الرابعة من نوعها لتركيا منذ تدخلها العسكري في الازمة السورية.

الحرب الروسية على اوكرانيا انعكست سلبا على اي انفراج محتمل في الملف السوري. ثمة نقاط اساسية عدة يمكن استخلاصها من مؤتمر بروكسل الاخير الخاص باللاجئين السوريين، ابرزها عودة التشدد الاوروبي - الاميركي حيال الحكومة السورية، وانخفاض الدعم المقدم للسوريين نتيجة الازمة الاقتصادية في اوروبا، واستمرار استثمار ورقة اللاجئين من جميع الاطراف، كذلك استمرار الدعم الاميركي للقوى الكردية في الشمال والشرق السوريين. من الطبيعي ان تسرق الحرب الاوكرانية الاضواء من الازمات الدولية الاخرى ومنها الازمة السورية، وان تحظى الحرب باهتمام الغربيين، لسببين: الاول انها على حدود الغرب جغرافيا، وفي قلبه معنويا وسياسيا واقتصاديا وانسانيا، والثاني هو دعم دمشق للعملية الروسية، الذي يدفع الغرب الى التشدد حيالها.

في النتيجة، فانه ما ان انفجرت الحرب الروسية في اوكرانيا وبرزت ازمة لاجئين جدد في اوروبا، حتى بدأت التوقعات بسلك الازمة السورية مسارا تراجعيا لناحية الاهتمام الغربي بها، مع ما يستجلبه ذلك من انعكاسات على مستوي قبول المزيد من اللاجئين السوريين، وقيمة الدعم الاثني الموجه لدعم مخيمات اللجوء المنتشرة في سوريا ودول الجوار.

على الارض السورية، وفي الميدان الهادئ نسبيا، يسلك الوضع مسارا خطرا عندما يتغير توازن القوى ويفرض خطا احمر جديدا. في سوريا الان،



الرئيس السوري بشار الاسد.



الرئيس التركي رجب طيب اردوغان.

والهدف هو اقامة منطقة امنة بعمق 30 كلم تحت ستار اعادة اللاجئين السوريين في تركيا، لكن الهدف الضمني هو ابعاد الاكرد عن الحدود التركية واحداث تغيير ديموغرافي وجيوسياسي في منطقة الحدود شمال سوريا.

بعد درع الفرات وغصن الزيتون ونبع السلام، تلوح تركيا بعملية عسكرية جديدة داخل

الهدف منها دفع القوات الكردية الى خلف مرمى المدفعية التركية، اي ابعد من 30 كيلومترا. ويتوقف هؤلاء عند توقيت اعلان الهجوم، باعتباره يأتي بعد ورود ابناء عن ان روسيا سحبت العديد من جنودها المنتشرين في مناطق مثل ادلب وحماة واللاذقية ومحيط حلب ومنبج وتل رفعت والحسكة وعين العرب، حيث ينشط

بعملية كبرى في ظل الفيتو التركي على انضمام السويد وفنلندا الى حلف شمال الاطلسي، سوف يجعل كل السهام ترتد عليها، علما ان مثل هذا الخيار سيثير استياء روسيا وايران.

الجيش التركي يبدي حماسة لتنفيذ العملية، لكن هناك حالة تردد لدى الاستخبارات التركية، بسبب التعقيدات العديدة التي تواجه هذه الخطوة في ظل الوجود الروسي والاميركي المشترك، مما يعني ان الحصول على موافقة طرف واحد فقط لا تكفي. فحتى لو اعطت واشنطن الضوء الاخضر لتنفيذ هجوم ارضي صغير لاردوغان ضمن سلة مغريات من بينها صفقات اسلحة، وغضت الطرف عن مشاريعه في الشمال السوري، وضمنت خفض نشاط الاكرد في السويد وفنلندا مقابل ضمهما الى الناتو، سيواجه الاكرد مشكلة تتمثل في موقف روسيا التي لا يمكنها تجاهل حقيقة ان ما يجري على الارض في سوريا هو جزء من صفقة اميركية تهدف في الدرجة الاولى الى مد نفوذ الناتو الى حدودها، وهو ما يمكن لروسيا ان تفشله من طريق اقناع قسد بتسليم المناطق التي تنوي تركيا احتلالها للجيش السوري، وهو طرح روسي قديم - جديد، يلقي رفضا كرويا مستمرا. الا انه مع ارتفاع منسوب الخطر التركي قد يتم انفاذه، خصوصا ان الجيش السوري موجود فعلا في محيط منبج وتل رفعت التي ترغب تركيا في ضمها.

تشير تقارير ديبلوماسية استخباراتية الى وجود توجيهين في تركيا: الاول لا يرى مصلحة وامكان احياء العلاقة مع النظام السوري والاعتراف مجددا بالرئيس بشار الاسد. الثاني يرى مصلحة تركية في الانفتاح على النظام السوري وتسريع وتيرة المحادثات بين انقرة والنظام السوري، بهدف مناقشة ملفين رئيسيين هما اللاجئين ومشكلة وحدات حماية الشعب الكردية. ذلك ان تركيا تريد من النظام فتح معركة عسكرية على حدود سيطرة قسد من المحور الشمالي الشرقي من سوريا، بهدف السيطرة على حقول النفط والغاز من جديد، وان تضمن تركيا دعمها والتزامها لحكومة دمشق في عمليات التنقيب والنقل والتصدير. بالتوازي مع هذا المشروع، فان انشاء اقاليم امنة في مناطق سيطرة النظام السوري هو موضوع اخر للمفاوضات بين ممثلي البلدين.

حزب العمال الكردستاني، لنقلهم الى اوكرانيا. ويتساءلون: هل هذا يعني ان روسيا تقول لاردوغان: تعال تقدم واطلق النار، وتعطيه الضوء الاخضر لذلك، ام هذا مجرد فخ ليصبح في موقف المواجه ليس فقط للولايات المتحدة، بل ايضا لايران التي يمكن ان تملأ الفراغ مع حزب الله في تلك المناطق؟

ويضيف هؤلاء ان العملية، اذا حصلت، ستشكل فرصة لتركيا لاختبار الموقف الحقيقي للولايات المتحدة، كما للسويد وفنلندا، تجاه حزب العمال الكردستاني. فان روسيا ستبقي على 6 الى 7 الاف جندي في سوريا، على خط دمشق - اللاذقية - طرطوس. ويرون ان اي هجوم عسكري جديد سيحرف الانظار ولو موقتا عن الازمة الاقتصادية الحالية، وان تركيا يمكن ان تقوم بعملية عسكرية واسعة، لكنها تغامر بتعريض المناخ الايجابي الذي نشأ مع الغرب بسبب اوكرانيا للتبدد، والقيام

سوريا، مستثمرة لحظة حاجة الولايات المتحدة اليها في خضم المواجهة المحتمدة مع روسيا. اذ لا يبدو، الى الان، ان التهديد التركي سيترجم على الارض، اقله في المدى القريب، في ظل غياب اي تحشيدات على الحدود. فالاكيد ان الرئيس رجب طيب اردوغان يحاول استغلال المسعى الاميركي لتوسيع الجبهة الغربية ضد موسكو، من اجل انتزاع مكاسب سياسية وامنية من واشنطن. كان لافتا ان المطالب التي تقدمت بها تركيا لحلف شمال الاطلسي اخيرا، لابداء مرونة في الموافقة على انضمام فنلندا والسويد الى الحلف، تضمنت الحصول على مساعدة من جانب الحلف لاقامة المنطقة الامنة في سوريا، مما عكس التأثيرات المتزايدة للحرب في اوكرانيا على الملفات الاقليمية، خصوصا حول الوضع في سوريا.

يرى محللون اترك ان سلسلة عمليات المخلب التي تقوم بها القوات التركية في شمال سوريا

قصف اهداف ايرانية بشكل منتظم وبوتيرة متصاعدة، وحملت الهجمات الاسرائيلية على مطار دمشق رسائل سياسية تحذيرية الى القيادة السورية. واذا ادى الانتشار الايراني الجديد في سوريا الى تكثيف الهجمات الجوية الاسرائيلية، فهناك خطر محتمل، علما ان الايرانيين لم يردوا حتى الان على الاسرائيليين. لكن، ربما لا حدود لصبرهم، ولا خط احمر معتمدا في ما يتعلق بالخسائر بين قواتهم في سوريا، والانتقام الايراني سوف يكون مفاجأة. ليس واضحا الى اين سينتهي التصعيد بين اسرائيل وايران. ومع تسبب مزيد من عمليات الانتشار الايرانية في سوريا، في اثاره غارات جوية اسرائيلية مكثفة، فان كثيرا من سيناريوهات التصعيد ممكنة في سوريا.

اما التطور الاعم والاعظم على الساحة السورية، فانه يتمثل في الاندفاع التركية في اتجاه القيام بعملية عسكرية جديدة داخل الاراضي السورية،

وبيضا تخفض روسيا قواتها، يزيد الحرس الثوري الايراني من وجوده، وتدرج اسرائيل ازدياد التهديد الايراني تدريجا، سواء من البرنامج النووي، او من البرنامج الصاروخي الايراني في سوريا. لا يعني ذلك ان الحرب الشاملة ستبدأ. لكن، من الممكن اذا تتجاوز اي من هذه البلدان الخط الاحمر عن غير قصد، وتفجير تصعيد لا تريده. ورغم المشاكل الاقتصادية الداخلية والاحتجاجات، في امكان طهران حشد مزيد من القوات العسكرية لارسالها الى سوريا. وتشير زيارة الرئيس بشار الاسد الى طهران، في ايار الماضي، الى ان وجود ايران ونفوذها في سوريا سيشهدان نموا متزايدا.

في المقابل، حددت اسرائيل مصلحة استراتيجية مرتبطة بالوجود العسكري الايراني: البرنامج الايراني المستمر لنشر الصواريخ الموجهة في سوريا يمكن ان يلحق اضرارا جسيمة بالاهداف الاسرائيلية، وبالتالي يواصل سلاح الجو الاسرائيلي